

الموقف الذي يشكل من وجهة نظره التزاما بمطالب ناخبيه البيض ، الذين يمثلون غالبية الناخبين ، ويعارضون اي اجراء لتصفية التمييز العنصري . ولا يمكن اعتبار فولبرايت لهذا السبب عنصريا ، ولكنه كان امام اختيارين : التخلي عن مقعده ودوره السياسي ، او مجاراة اكثرية ناخبيه ، فاختر الثاني .

ومن مواقف فولبرايت الغربية ، تأييده للانذار الذي وجهه الرئيس كندي الى الاتحاد السوفيتي خلال ازمة الصواريخ الكوبية (رغم موقفه السابق ضد غزو كوبا) . فلقد كان يخشى ان تغدو كوبا قاعدة صواريخ نووية سوفيتية . وكان يعتبر ان مثل هذا الامر يمكن ان يؤدي الى صدام بين العملاقين ، ويزيد من اخطار الحرب النووية . وهناك ايضا تأييده لموقف الرئيس جونسون ، عندما قرر قصف جمهورية فيتنام الديمقراطية الشعبية كرد على الهجوم الذي شنته القوات الفيتنامية على مدينتي امريكيتين في خليج تونكان بتاريخ ١٤ آب (أغسطس) ١٩٦٤ (٤) . ويفسر المحللون السياسيون موقف فولبرايت هذا ، بأن السيناتور الجمهوري اليميني المتطرف باري غولد ووتر — العدو الشخصي لفولبرايت — كان في ذلك الوقت قد أعلن عن ترشيحه لمنصب رئاسة الجمهورية ، لذا رأى فولبرايت ان عليه ان يعزز موقف جونسون ويؤيد قراره الذي كان أول خطوة في التورط الامريكى في فيتنام ، مع ان فولبرايت هو أول من هاجم هذا التورط .

ورغم هذه المواقف الخاطئة والمنتقدة ، فقد كان فولبرايت ، بصورة عامة ، رجلا صادقا مع نفسه ، يتمسك بمبادئه ومواقفه ويدافع عنها دون مراوغة . فهو يقول ما يعتقد صوابا ، حتى ولو كانت مشاعر الرأي العام الامريكى متعارضة مع مواقفه وتقاعاته .

ان السؤال الذي حير الكثير من المعلقين الاجانب — لان المعلقين الامريكين يعرفون الجواب — هو ، لماذا هزم فولبرايت بهذه الصورة ، وفي هذا الوقت بالذات ؟ ولقد قيل في الرد على هذا السؤال : انه تكاثرت الاعداء ، كما قيل : خيبة امل ناخبيه ، او سجله المليء بالمواقف المتباينة ، او كبر سنه (٦٩ عاما) ، او ووترغيت . . . الخ . والواقع ان لفولبرايت ، كما لكل سياسي في العالم ، اعداء . فهو يلعب دوره على المسرح السياسي منذ عام ١٩٤٢ . ومن الطبيعي ان يكون له خصوم واعداء ومعارضون . ولكن غالبية المعسكر المعادي له كانت تفضل بقاءه في الكونغرس ، لانها تقدر ثقافته وجرأته ووطنيته ومواقفه التي برهنت الاحداث على صحتها . ولكن عدوا واحدا بقي متربصا له ومصمما على اسقاطه ، دون ان يهتم بأية مصلحة اخرى غير مصلحته الذاتية . وكان هذا العدو هو : الصهيونية . ولولا قوة شخصية فولبرايت ، ونزاهته في بلاد الرشوة والصفقات المشبوهة ، ومكانته العالية ، وشعبيته ، وقدرته النابعة من خبراته وحكته السياسية ، ومهارته ، في صياغة القرارات دبلوماسية وصبر بشكل يضمن موافقة الكونغرس عليها ، لما أستمر على المسرح السياسي ٣٢ عاما . وعندما تكاملت الظروف الملائمة لضربه ، انقضت عليه الصهيونية ، وجعلت هزيمته تبدو وكأنها طبيعية وناجمة عن ضياع شعبيته وتساؤل كفاءاته . وهذا ما بعث المرارة في نفسه — رغم قوله بأنه لا يشعر بأية مرارة — .

ومن المؤكد ان الصهيونية لم تهاندنه يوما ، فلقد حالت دون وصوله الى مناصب عليا كان اجدر بها من غيره ، ووقفت في الانتخابات الى جانب خصومه ، الامر الذي جعل الرئيسين كندي وجونسون يحجمان عن تسليمه اي منصب وزارى ، رغم احترامهما لرايه ، واستشارتهما له في الامور الهامة . ويؤكد هذا القول حادثة مشهورة دارت